

ثَار

نورهان ياسر

رؤية مشوشة، وعي يتسرب ببطء، ألمح قطرات الدماء تجري هابطة درجات السلم الذي ظهر بعد عناء، وذلك الكيان يتعد حاملاً نظرة تشفى واضحة، تتسارع الأحداث أمامي حاملة ذكريات ماض ليس ببعيدٍ، أحداث بعضها انتهى من أيام بأخر مكاملة تخبرني ألا أحاول الإقتراب حتى تصبح الأحوال مهيئة، وأخرى كانت فقط منذ ساعات قليلة بدأت برنين هاتف العمل حاملي عبر الأسلاك طلب وجبه طعام ساخنة في ذلك الوقت المتأخر من الليل، ليكون عليّ أنا عامل التوصيل أن احملها إلى ذلك العنوان الذي لم يكن بعيداً، ولا غريباً.

ذهبت لتوصيل الوجبة وفي خلال دقائق كنت استقل المصعد لأبلغ الطابق المطلوب في ذلك البرج السكني الفخم.

توقف المصعد، وهنا كانت الكارثة لقد انفتح من الأربع جهات لم يعد به سوى ما أقف عليه أما جوانبه الأربع فقد تحولت لأبواب مفتوحة أمام كل منها يظهر باب يحمل رقم الشقة التي أرجوها!

تملكني الذعر لا أدري من أين أخرج ولا أيّ منهم هو الباب الصحيح، ولم أتمكن حتى من الهبوط مرة أخرى أي كارته تلك؟!

ارتفعت ضربات قلبي عندما بدأت أبواب الشقق الأربع تفتح ببطء ليظهر خلف كل منها شخص.



(الباب الأول) تقف به امرأة فاتنة آثار هلمي ثيابها التي كأنها قد تمت حياكتها من أفاعٍ صغيرة تتلوى بعنف و تحيط عنقها بأفعى أكبر حجمٍ تتلوى بلا توقف، هربت بنظري عنها (للباب الثاني) لأجد عنده رجل وقور لا يعيبه سوى أنه بلا عينين فقط بقعتين دامتين تسيل منهما الدماء بلا توقف ، أما (الباب الثالث) فوقفت به طفله تبكي وتشير لحلقها فذلك السكين المستقر بعنقها يثير نعيها وختاما (الباب الرابع) الذي احتلته تلك العجوز التي تنظر لي بغيظ لا أفهمه. أخذت أدور حول نفسي بلا توقف لا أجد مخرجًا ، لن أترك مكاني أبدًا ، رباه أنقذني، لكنهم بدأوا في التحرك تجاهي ليتوقفوا أمامي ناطقين في صوتٍ واحد:

- أين الطعام؟!، آتنا به فنحن جوعى وستحصل على هدية مميزة. أخذت ادور حول نفسي وأنظر إليهم أخاف أن أولي ظهري لأحدهم، وهنا حدث أمر عجيب اختفوا جميعًا ، وعاد المصعد لهيئته لأسقط أنا أرضًا وأنا أرتجف فزعًا ليتحرك المصعد من جديد لا أدري صعودًا أم هبوطًا، ليتوقف مرة أخرى حاملًا إياي لنفس الطابق مرة أخرى أخذت أضغط الأزرار بعنفٍ رباه ليس مرة أخرى لكن لا استجابة هنا انفتح الباب الطبيعي ببطء ليُواجهني باب الشقة المطلوبة من جديد يستقر وحيدًا في الطابق كله اقتربت منه، أجد أن المصعد قد تحرك راحل تاركًا مكانه حائط مصمت، بحثت عن السلم للهبوط لم أجد لقد سجت بالطابق! صرخت طالبًا النجدة لكن لا مجيب.

تساءلت: أهي مصادفة؟ ثم قررت التصرف بهدوءٍ، هم جوعى ومعى طعام سأضع الوجبات أمام الباب وأراجع للخلف ربما انفرجت الأزمة.



ببطء اقتربت وأنا ارتجف خوفاً، وضعت الطعام أمام الباب وما إن انتهيت
إلا وانطلقت ضحكة رنانة مرعبة، استمرت لثوانٍ لينطلق بعدها صوتٍ رخيم
قائلاً:

- أيها الشاب ألا تريد ثمن طعامك، لك ما تشاء.

كانت عيناى مصوبةً تجاه الباب الذي انفتح فجأه ليبرز منه هؤلاء
الاشخاص مرة أخرى أمامى، وبصوتٍ مرتجف، همست أريد الرحيل فقط!
هنارت السيدة العجوز:

- لا رحيل قبل أن نمنحك ثمن الطعام، لكن لا مال لدينا سنمنحك أشياء
أخرى.

-كررت بخوف: أريد الرحيل.

تحركت السيدة الفاتنة نحوي يسبقها عطرها الفواح ممزوجٍ بحفيف تلك
الأفاعى المحيطة بها لتهمس بغنج:

-لا تخشاهم فهم ودودين فقط تحصل على هديتك، عندها ترحل لا تثر
غضبنا فهذا الود قد يتحول، عندها لن تكون سعيداً.

إذن لا سبيل سوى الإستسلام علماً النجاة، عدت للخلف بعيداً عن تلك
الأفاعى وأنا أردد:

-ما المطلوب منى؟

تحدث الرجل الوقور ذو البقعتين الداميتين:



- لا شيء فقط لتختار أحدنا ليمنحك هديتك عندها يظهر باب الخروج،
وأحسن الاختيار فمن تختاره ربما حمل لك شيئاً ثميناً، هدية أو لعنة، أو الموت.
تحسست عنقي مردداً:

- (موت)؟! رباه انقذني.

هنا هتفت بي الطفلة أنا جائعة، اقرب مني ليقاطعها الرجل جميعنا أصابنا
نصيباً من الجوع وها هو الطعام فتحلي بالصبر.

شيء بداخلي يخبرني أي المقصود، أنا طعامهم إذن لاختار الطفلة فبي لن تفوقني
قوة علي كل حال وهتفت بهم سأختار الطفلة، ليحدث شيء رهيب اشتعلت النيران
بالأشخاص الثلاثة لتنتقل صرخاتهم المريعة، وما إن انطفأت النيران إلا وتحولت
الطفلة لكيانٍ ضخم مؤلف من الأربعة أشخاص مجتمعين لا وصف له؟

سقطت هلعاً، ماذا فعلت بنفسي ليتحدث ذلك الكيان أمامي بتشفٍ:

- الكل يقع بنفس الخطأ غروركم البشري لا ينتهي، كانت الأضعف في رأيك

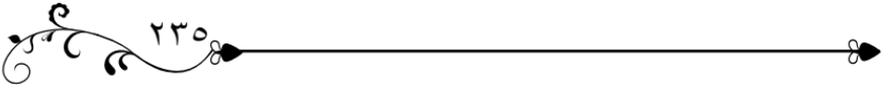
لكنها تحمل قوتنا مجتمعة، هيا فلتتمم اختيارك!

زحفت أرضاً نحو الباب وأنا أرى بخيالي نهائي، وذلك الكيان يتعاضم ويزداد
تضخماً أمامي، اجتزت الباب لأجد الطفلة أمامي من جديد لكن بلا جروح ولا
سكين تلك المرة مجرد فتاة بريئة تلهو بألعابها، فجأة فتحت عينها ذعراً على
صوت شجار بين والدها والدةها على ما يبدو واللذان لم يكونا سوى الرجل الوقور
وتلك الفاتنة لكن بهيئة بشرية طبيعية.

اختبأت الفتاة ذعرًا أسفل المقعد وهما مستمران بالشجار لا يُباليان بها ، الرجل يتهم زوجته بخيانتة، يخبرها أنها تحاول قتله باستمرار وهو يعلم بكل محاولاتهما، وأنه على علم بذلك الشاب العامل بتوصيل الطعام-حبيبها السري- وتلك الفتاة ربما ليست ابنته برقت عينا المرأة بتبجح وهي تخبره بصدق تخميناته، مهددة إياه بفضيحة مدوية فانهاال عليها ضربًا ليختفي بعدها بإحدى الغرف ليعود حاملاً قنينة صغيرة وكيس قماشى به شيء يتلوى بعنف وهو يصرخ حاولت قتلي بهم، وبهم تموتين وأمام عيوني الذاهلة أمسكها بعنف ليسقما ما في القنينة عنوة يبدو أنه سم، ليحل الكيس بعدها وتتحرر منه تلك الأفعى، تتزامن صرخة المرأة مع صرخة الطفلة؛ فقد ذبح الطفلة بسكين استله من بين ملابسه، عندها هتفت المرأة وهي بين سكرات الموت:

- هي ابنتك كنت استفزك، نعم حاولت قتلك من أجل حبيبي، والإرث، لكنها ابنتك.

انهار الرجل فزعًا من اعترافها لم يتحمل ما اقترفت يداه وبلا تردد طعن كلتا عيناه لتتفجر منهما الدماء، ليتزامن سقوطه مع فتح باب المنزل، وقدم تلك العجوز الطاعنة يبدو أنها والدة أحدهم والتي انهارت فوق رؤية المشهد وبجنونٍ اختفت داخل طرقة جانبية ليبدأ بعدها الهول، رائحة غاز صاحبت صرختها قضيتي علينا يا فاجرة جلبت لنا العار لن أترك سمعتنا للألسنة، لينتهي الأمر بناٍر هائلة اندلعت تبعها انفجار هائل أطاح بي خارج الشقة، لأجد نفسي وقد تدرج



جسدي على سلم المنزل الذي ظهر من العدم لتصطدم رأسي ببروز حديدي
وانسابت دمائي منذرة بغياب وعيي عندها رأيت ذلك الكيان وهو يتعد قائلاً:
- ها هي هديتك، الحقيقة التي لم يعرفها أحد، ثمن متعة محرمة حصلت
عليها وجشع ملأ قلبك وكان المقابل تلك الأسرة، نرجو أن تكون الهدية قد نالت
إعجابك.

